الأهرام

المصدر : الجيـــــــــــــل

التاريخ : .....

يشترون شعارات من يؤيدونهم

المسلمون
في خضم الاحداث اليوغسلافية

هل تمتد النار المشتعلة في يوغوسلافيا الى مليوني مسلم يعيشون في البوسنة؟

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

جيفرى لي

الشيخ آدم عمريكو هو زعيم الجالية الاسلامية في نيفيسينج، وهي البلدة الجبلية الصغيرة في جمهورية البوسنة والهرسك، احدى جمهوريات يوغوسلافيا. والشيخ عمر صاحب شخصية مرحة، ويطل عليك بجسمه الممتلىء وابتسامته وهوايته الاولى هي كتابة الخط العربي، وهي هواية لا يجد لها الوقت الكافي هذه الايام. كذلك فقد اضطر الى تأجيل الحج هذا العام بل وان يحتفظ بمسدسه جاهزاً اذا دعت الضرورة، فبلدته الجميلة نيفيسينج قد وجدت نفسها في قلب الاحداث العنيفة التي تجتاح يوغوسلافيا. فقريباً من البلدة اقام المتطرفون الصرب نقاط تفتيش وحواجز، وراحوا ينشرون الفزع بين الناس ويتعرضون بالاذى لابناء بقية القوميات، بل انهم يدعون المسلمين ان يحملوا امتعتهم ويرحلوا.

واية محاولات لوقف النار في جمهورية سلوفينيا او اية تسوية تقوم بها الجماعة الاوروبية لن تحل مشكلة هذه الجمهورية التي تقطنها اغلبية اسلامية والتي لا يهتم بها

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الكثيرون رغم مكانتها الحساسة في قلب الاحداث البلقانية. ويرد الشيخ عمريكو على تهديدات الصرب بشجاعة قومه المعهودة حين يقول بتحد: «نحن لسنا اكراداً ولن نترك ارضنا قط. وسوف نحارب».

ووسط انهيار يوغوسلافيا حالياً، يبدو ان تاريخ التعايش والتفاعل والامتزاج الطويل في جمهورية البوسنة بين المسلمين (٤٥٪ من السكان) والصرب الارثوذكس (٣٣٪) والكروات الكاثوليك (١٨٪) قد وصل الى نهايته. ويقول رئيس جمهورية البوسنة وزعيم حزب العمل الديمقراطي الذي يمثل المسلمين عليا عزت بيغوفيك الذي يبدو عليه التعب والارهاق: «ان كل طبقات المجتمع تسلح نفسها. فالناس يشعرون ان الحرب الاهلية قد تنفجر في اية لحظة».

ويضيف الرئيس المسلم ان مثل هذه الحرب ستكون مدمرة ومأساوية ليوغوسلافيا، لأن البوسنة هي الدولة الحاجز بين الصرب وكرواتيا. ويرفض المسلمون بقوة الاصوات المحمومة التي تعلو احياناً في زغرب عاصمة كرواتيا والتي تعتبر البوسنة جزءاً من «كرواتيا الطبيعية» او الاصوات الاخرى في بلغراد عاصمة الصرب التي تعتبر هي الاخرى ان البوسنة جزءاً من «الصرب الكبرى». فالمسلمون ينهجون سياسة معتدلة ويحرصون على خط ديمقراطي ويرفضون بحزم دعوات التطرف وسياساته، سواء من جانب بقايا الفلول الشيوعية او من جانب الملكيين.

ويقول الرئيس عليا: «ان ثمن السلام في يوغوسلافيا هو بقاء واستمرار البوسنة» قال لي ذلك في سارايبغو عاصمة البوسنة، واضاف: «ان تفكك البوسنة يعني الحرب بين الصرب وكرواتيا. فمن هذه المنطقة اندلعت شرارة الحرب العالمية الاولى. فلنتذكر ذلك جيداً.» ويشير عليا بيده الى النهر الذي قتل فيه غافريلو برنيسيب ارشيدوق النمسا فرانز فيرديناد سنة ١٩١٤: «فالحرب العالمية الاولى نشبت على بعد اقل من كيلومتر واحد من هنا».

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

يوغوسلافيا

الاسم الرسمي: جمهورية يوغوسلافيا الاشتراكية الفدرالية.
العاصمة: بلغراد (١,٠٨٥,٩١٥ نسمة)
المساحة: ٢٥٥٥٨٠٤كلم٢
السكان: ٢٣,٥٥٩,٠٠٠ (تقدير ١٩٨٨)
يتوزعون كما يلي:
الجمهوريات: البوسنة والهرسك: ٤,٤٤١,٠٠٠
كرواتيا: ٤,٦٧٩,٠٠٠
مقدونيا: ٢,٠٨٨,٠٠٠
مونتينيغرو: ٦٣٢,٠٠٠
الصرب: ٥,٨٣١,٠٠٠
سلوفينيا: ١,٩٤٣,٠٠٠
كوسوفو: ١,٨٩٣,٠٠٠
فوجفوديتا: ٢,٠٥٢,٠٠٠
حكم ذاتي: كوسوفو: ١,٨٩٣,٠٠٠
فوجفوديتا: ٢,٠٥٢,٠٠٠
المذاهب: الارثوذكس: ٣٦,٣٪، الكاثوليك: ٢٦٪، المسلمون: ١٠,٤٪ الباقي مذاهب اخرى.

المصدر: الموسوعة البريطانية

والرئيس عزت بيغوفيك هو الرئيس المسلم الوحيد في اوروبا. وقد سجن مرتين، في ١٩٤٦ و١٩٨٣، على ايدي الشيوعيين. وبذلك يتميز بانه معارض عتيد وعريق للحزب الشيوعي الذي حكم يوغوسلافيا، وهو بذلك بريء من اية شائبة او شبهة بالتعاون مع النظام القديم. وذلك يؤهله ليكون موضع ثقة الجاليات والقوميات الاخرى غير المسلمة. وللأسف، يبدو حتى الآن، ان جهوده للمحافظة على السلام في البوسنة قد تؤول الى الفشل، كما آلت من قبل وساطته بين الصرب وكرواتيا من اجل استمرار يوغوسلافيا في اطار ديمقراطي وفدرالي اوسع حرية من السابق.

ويُخشى من انفجار الصراعات المحلية والانتقامات الشخصية والفردية بين الصربيين والكرواتيين الذين يعيشون في البوسنة، حتى ولو هدأت حدّة الصراعات المسلحة بين الميليشيات السلوفينية والجيش

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الفدرالي. ومتى حدث ذلك فان شرارة القتال قد تلتهم البوسنة كلها التي تتميز بفسيفسائها القومية والعرقية والمذهبية. وتسود حالياً حالة من المواجهة والتحدي بين المنطقة الصربية في البوسنة، كراجينا وشرق الهرسك، وبين الكرواتيين المجاورين لها. فهم يتبادلون كل اليوم التهديدات والشتائم.

والمسلمون، ومعهم الكرواتيون، لا يتركون شيئاً للصدفة او حسن النوايا، فهم يسلحون انفسهم ولا يعتمدون على الشرطة المحلية لحماية انفسهم. فمن المعروف ان السلطات الفدرالية سواء في الجيش او الشرطة يهيمن عليها الصربيون ويزودون مناصريهم وشعبهم بالسلاح. ولا تحاول هذه السلطات كبح جماح جماعاتها. ويبدو ذلك واضحاً في نيفيسينج التي تقع على حدود صربية ـ كرواتية، حيث يجول فيها شباب بنظارات سوداء وقمصان مرسوم عليها جماجم وعظام متصالبة وخناجر وشعارات كـ«الحرية او الموت». وهم يلحاهم الشعثاء وازيائهم الغريبة يبدون كالصعاليك المتوحشين، ويعلنون ولاءهم وعصبيتهم لأقصى اليمين، ويدعون الى اقامة «الصرب الكبرى» بزعامة السلالة الملكية لعائلة كارادجوردجييفيك.

وفي الواقع فان التوازن الهش بين القوميات في البوسنة قد انهار. فالكرواتيون يدعمون انفصال جمهوريتي كرواتيا وسلوفينيا في حين ان الصربيين يدعمون تدخل الجيش الفدرالي.

والتآلف الحكومي قد تنازل عن ادنى مظاهر التعاون، حتى ان برلمان البوسنة لم يستطع اقرار قانون واحد منذ انتخابه قبل ستة اشهر حتى الآن، بل ويعجز عن الاتفاق على برنامج عمل لاجتماعاته. وقد قبض مرة على نائب صربي وهو يقود قافلة من الاسلحة لتزويد الصربيين في الهرسك. ويقول الصحافيون هنا ان البوسنة تشبه اليوم لبنان ايام الحرب الاهلية حين تفتتت الدولة الى تشرذمات طائفية.

وفي الوقت نفسه، فان المشاكل تتفاقم. فقد انهار الاقتصاد وتوقفت السياحة واختفت

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

الاستثمارات الجديدة، ويعلن الاضراب باستمرار حوالي ثلاثماية الف عامل، وتطول صفوف الانتظار للبنزين يوماً بعد يوم، والناس يتعاملون بالعملات الصعبة كالدولار والمارك الالماني، بعد ان فقدت العملة المحلية معظم قيمتها. وفي سارييفو وصل تلوث البيئة اقصاه.

ولكن النشاطات شبه العسكرية ما تزال قاصرة حتى الآن على المناطق المدينية، ولم تنتشر في الريف بعد، وتعبر عن نفسها باشكال مضحكة. مثلاً: السيارات التي تحمل علامات كرواتية لا تذهب الى المناطق الصربية، لئلا يرميها الناس بالحجارة، والعكس صحيح. كذلك يعمد الكرواتيون الى طمس النجمة الحمراء التي تعبر عن يوغوسلافيا الموحدة، اينما وجدوها.

وفي الواقع، تبدو سارايفو هادئة. فعند الغروب تشاهد الشباب والصبايا من كل المذاهب وهم يتنزهون في الحدائق والشوارع او يجلسون في المقاهي. وحين تشاهد الجبال من حولك تعتقد بانك في سويسرا او النمسا. ورغم ذلك فان مخاوف سكان البوسنة لا تلبث ان تطفو على السطح. مثلاً: حسن الذي يعمل رساماً ومصمماً، ما زال يتحدث عن صداقاته مع الصربيين، وهو واحد من ٤٪ الذين ما زالوا يصرون على وصف انفسهم بانهم يوغوسلاف. ولكنه اخيراً بدأ يتضامن مع شعبه ويفكر بالصلاة ويدرس التعاليم الاسلامية.

قال لي حسن: «لي صديق صربي، اخبرته اني اشتريت دراجة نارية فقال لي انه كان عليّ ان اشتري سلاحاً نارياً. فهو يعرف جيداً ان هنالك صربيين كثيرين يريدون ان يقتحموا بيتي ويقتلوني لاني مسلم».

وقد ادى الخوف من الهيمنة الصربية الى تقارب بين الكرواتيين والمسلمين، بل الى نوع من التحالف. ولكن الاحقاد التاريخية تتجاوز في الحقيقة كل حديث عن الفدرالية او الكونفدرالية. فالصربيون والكرواتيون يحملون في نفوسهم ذكريات المذابح الدامية التي تعرضوا لها على ايدي بعضهم البعض في الحرب العالمية الثانية. فالكرواتيون، مثلاً،

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

كانوا ينحرون كل صربي يرفض اعتناق الكاثوليكية ويصر على الاحتفاظ بمذهبه الارثوذكسي.

ويضرم هذه الاحقاد انبعاث الميليشيات المتناحرة، التشيتنيك الصربية والاوستاش الكرواتية، الذين حاربوا مع النازيين في الحرب العالمية الثانية، حين كان يلائمهم ذلك، والذين يتهددون بعضهم البعض هذه الايام. فالزعيم الصربي فوجيسلاف سيسيلج يدعو علناً الى ضرب أعناق الكرواتيين. وينظر الصربيون الى اعلان زغرب عاصمة كرواتيا، منع استخدام الحروف السلافية، كشكل من اشكال عودة عقلية الاوستاش. وهناك ايضاً من يلوم المسلمين على احداث دامية تعود الى الحكم العثماني قبل حوالي ثمانين سنة! ويخشى البعض من انتشار الحركة الاصولية بين مسلمي البوسنة.

فمن المظاهر الجديدة انتشار غطاء الرأس بين كثير من المسلمات، وهو الغطاء الذي كان يمنعه الحكم الشيوعي، كذلك انتشار الاعلام الخضراء علانية، كما ان مزيداً من المسلمين يحتفون بشهر رمضان ويصومونه. ويجري حالياً بناء الجوامع وتجديدها، كما ان الحريات الصحافية الجديدة تتيح مزيداً من المجلات والمطبوعات الاسلامية التي تباع في الاكشاك العامة الى جانب المجلات الاخرى بما فيها المجلات الجنسية! كما ان حرب الخليج كان لها صداها القوي.

ويعبر عن المخاوف المسيحية اندريه اوستيرليش، احد مؤسسي الحزب الصربي الديمقراطي بقوله: «ان هدف المتطرفين المسلمين اقامة دولة مسلمة... وفرض الاسلام على الجميع». والصربيون يصوّرون انفسهم على انهم السدّ الاوروبي ضد «المدّ الاسلامي» ويخشون من اية علاقات بين مسلمي البوسنة واية دولة اسلامية اخرى، وخصوصاً ايران. ويتهمهم البعض بانهم يسلحون انفسهم لاعلان «الجهاد»، وهو اتهام يضع الابتسامة على وجه الشيخ كولا كوفيك،

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

يرفعون صور الرئيس ميلوسيفيك في الشوارع

احد زعماء المسلمين هنا، ويرد: «ان المسلمين يقومون بالجهاد بالفعل، ولكن بالكلمة وليس بحدّ السيف، ونحن نرحب باقامة دولة اسلامية ولكن بشرط ان تسمح الظروف بذلك».

ولكن الرئيس عليا عزت بيغوفيك ورجال حزبه ينكرون ان لهم نوايا تصل الى هذا الحد ولكنهم يصرون وبقوة على التمسك بحرياتهم السياسية والدينية التي نالوها اخيراً وبعد جهد عظيم. وكما يقول الرئيس عليا: «نحن مليونان من المسلمين هنا. ولن نسمح للصربيين او الكرواتيين ان يبتلعونا. ولدينا السلاح وسنحارب دفاعاً عن انفسنا».

ويؤيده في كلامه انصاره: «نحن نريد السلام»، كما يقول الشيخ عمريكو، ويضيف: «ولكن اذا كانوا يريدون الحرب، حسناً، فسوف يواجهون الحرب..»●

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية